مُقَدِّمَة

الحمد لله الَّذي جعلَ بصائرنا تجول في مرآة العِبَر، وتقف بمشاهدَة الآثار على أحوال مَنْ غَبَر، والصلاة والسلام على خاتم النبيّين الَّذي أُنزل على قلبه ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وبعد:

فالتاريخ للزمان مرآة، والإنسان العاقل هو من يبحث عن ذاته في مرآة التاريخ!

وما أحسن قول الشاعر في الَّذين مضوا قبلنا:

وما نحنُ إلاَّ مثلهم غير أنَّهم مَضَوْا قبلنا، ونحن على الأثر

لذا أحببْتُ أنْ أجمع من تراجم النساء اللائي مضيْنَ قبلنا؛ لتختار نساء هذا الزمان النموذج الصحيح وتبحث عن ذاتها في مرآة التاريخ ومفكرة الأيام الخوالي، فيقتدين بخولة، والخنساء، وسفَّانة بنت حاتم، وزُبيدة، وبنان...، وسواهن من النساء الخالدات في ذاكرة الأيام وقلوب الأجيال.

قال المتنبي:

ورأيت كلاماً يعلِّل نفسه بتعلّةٍ، وإلى الممات يصيرُ

منهج العمل

عرَّفتُ بالعَلَم تعريفاً موجزاً كافياً، فذكرْتُ الاسم الكامل، واسم الشهرة والنسب، وأهم الآثار، أو الأعمال الأدبية، أو العلمية، أو المواقف المشرّفة، كما قد عُنيتُ بضبط الأسماء ضبطاً صحيحاً بحسب وروده في المصادر أو المراجع التي اعتمدتها في البحث.

كما ذكرتُ سني الولادة والوفاة بالتاريخ الهجري والميلادي، أو واحدة منهما، بحسب ورود ذلك في المصادر، وإذا ضنَّتِ المصادر بتحديد سنة الولادة أو الوفاة ذكرْتُ القرن الذي عاش فيه العَلَم. ووضعْتُ هذه الإشارة (. . .) لتدلّ على عدم المعرفة (بعد بذل الجهد) بتاريخ الولادة أو الوفاة، وإذا كانت المترجم لها من المعاصرات دلّ ذلك على أنها ما زالت حيَّة.

وقد تصرَّفْتُ أحياناً في بعض الاقتباسات بما يُناسب المنهج الَّذي رسمْتُه لهذا الكتاب.

وجاءت التراجم مرتَّبةً بحسب التسلسل الهجائي على أساس الحرف الأول فالثاني، ومَنْ تكنَّتْ بـ«أُمّ» فقد عَقْدتُ لذلك فصلاً في باب الهمزة وجاء المد «آ» قبل الهمزة.

طريقة البحث

١ ـ تبحث في باب الحرف الأول من اسم العَلَم، وَفْق الترتيب المعجمي.

٢ ـ إذا تكرّر الاسم، عددنا الاسم الثاني أصلاً (انظر: فاطمة، ليلى؛ مثلاً).

٣ ـ في باب الهمزة هناك فصل لمن تكنَّتْ بـ«أمّ»، وقد عُدَّ الاسم بعد كلمة «أم» هو الأصل في الترتيب.

٤ ـ إذا كان اسم المُتَرْجم لها يبدأ بالمد «آ» فقد وُضع قبل «أ» في صدر باب الهمزة.

أمَّا المصادر التي نهلْتُ منها هذا المعجم، فهي كثيرة جداً، أذكر أهمها:

*** المصادر القديمة:**

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير الجزَريّ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني.
- الأغاني. لأبي فرج الأصفهاني.
- البيان والتبيين. الجاحظ.
- تهذيب الأسماء واللغات. النووي.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي.
- صفة الصفوة، لابن الجوزي.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي.
- طبقات ابن سعد. لابن سعد.

● طبقات فحول الشعراء. ابن سلاَّم الجمحيّ.
● العقد الثمين. المكي.
● العقد الفريد. ابن عبد ربه الأندلسي.
● الكامل. للمبرّد.
● النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تَغْري بردي.
● نفح الطيب. المقَّري.
● الوافي بالوفيات، للصفدي.

*** المراجع الحديثة:**

● الأعلام، خير الدين الزِّرْكلي.
● أعلام النساء. عمر رضا كحالة.
● معجم أعلام النساء. محمد ألتونجي.

وقد أفدتُ كثيراً من كتب التراجم والموسوعات الحديثة والمعجمات ومن بعض الصحف والمجلات، وجاء بيان ذلك في موضعه.

هذا، ومن يتأمَّل، ويتفكَّر في هذا الكتاب يجد أني أردتُ أنْ أُذكّر بتاريخ أمهاتنا العربيات، العظيمات اللاتي أنجبن خالد، وعمرو، وعبد الملك وأسامة... والحسن والحسين!

وإن أريد إلا الإصلاح ما استطعتُ، وأهيبُ بشقائق الرجال أنْ تكون قريحة الاختيار عندهن صحيحة، صافية.

فهؤلاء أمهات المؤمنين، وتلك الصحابيات (ولهن القِدْح المعلى في الكتاب).

وهؤلاء الأديبات، أو المحسنات في العصر الحديث، وهؤلاء المجاهدات في ميادين الشرف والبطولة والكرامة.

وذات الخط الكبير مَنْ تختار من سيرة إحدى النساء العربيات والمسلمات الخالدات نموذجاً ونبراساً تهتدي به في حياتها، ومن كانت تلهث خَلْف «التحرر»

وتسعى للحصول على «حقوق المرأة» تنظر في التاريخ وتسأله تجد أنَّ الحرائر وربّات الخدور منهن المجاهدة، والملكة، وصاحبة المنتدى الأدبي، والمستشارة، والطبيبة، والمحسنة، و. . .

أمَّا قبل!

أرجو من الله أنْ يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأسأله سبحانه أنْ ينفع به أخواتنا، والقراء أجمعين، إنه سميع مجيب.

والحمد لله نهايةٌ لا تزال تبدأ، وبَدْءٌ لا ينتهي. . . الحمد لله رب العالمين.

عبد الرحمٰن المصطاوي